

الملائكة والشياطين  
المحاضرة ٨: ملاك "الثور"  
أ. سي. سرول

فِيمَا نَصَلَ إِلَى خَتَامِ سَلْسَلَتِنَا عَنِ الْمَلَائِكَةِ، لَا يَزَالُ هُنَاكَ الْكَثِيرُ مِمَّا نَحْتَاجُ أَنْ نُعْطِيَهُ عَنِ عَمَلِ الشَّيْطَانِ. رَأَيْنَا بِالْفِعْلِ أَنَّهُ لَا يَمْتَلِكُ صِفَاتِ إِلَهِيَّةٍ. فَمَعَ أَنَّهُ أَقْوَى مِنَّا، لَكِنَّهُ لَيْسَ كُلِّي الْقُدْرَةَ. وَمَعَ أَنَّهُ يَفُوقُنَا مَعْرِفَةً، هُوَ لَيْسَ كُلِّي الْعِلْمِ. وَلَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَكُونَ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَكَانٍ فِي آنٍ وَاحِدٍ، لِأَنَّهُ مَحْدُودٌ بِمَحْدُودِيَّتِهِ كَمَخْلُوقٍ. لَكِنْ رَأَيْنَا أَيْضًا أَنَّهُ كَذَّابٌ، وَأَنَّهُ حَادِقٌ وَمَا كَرٍ، لَكِنْ فِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ يُمَكِّنُ مَقَاوِمَتَهُ.

أَحَدُ الْأُمُورِ الَّتِي نَعْمَلُ عَنْهَا كَثِيرًا بِشَأْنِ طَبِيعَةِ الشَّيْطَانِ وَعَمَلِهِ هِيَ طَبِيعَتُهُ الْمُتَحَوِّلَةُ. وَحِينَ نَتَكَلَّمُ عَنِ التَّحَوُّلِ، نَقْصِدُ الشَّيْءَ الَّذِي يَتَغَيَّرُ فِي مَظْهَرِهِ الْخَارِجِيِّ - مِثْلَمَا تَمُرُّ الْفَرَّاشَةُ بِعَمَلِيَّةِ التَّحَوُّلِ مِنْ دُودَةٍ إِلَى مَخْلُوقٍ بَدِيعٍ طَائِرٍ. وَمَا نَقْصِدُهُ بِوَصْفِ الشَّيْطَانِ بِأَنَّهُ مُتَحَوِّلٌ هُوَ قُدْرَتُهُ، كَمَا نَقُولُ فِي عِلْمِ الْأَلْهُوتِ، عَلَى أَنْ يَظْهَرَ "سَابٌ سِبِيسِيَزُ بُونَائِي" (*subspecies boni*) وَمَعْنَاهَا الْحَرْفِيُّ "نَحَتَ سِتَارِ الْخَيْرِ". فَهُوَ لَيْسَ تِلْكَ الشَّخْصِيَّةُ الْعَرِيبَةُ ذَاتَ السُّتْرَةِ الْحُمْرَاءِ وَالْقُرُونِ وَالْمِذْرَاةِ، كَمَا ذَكَرْنَا فِي الْمَحَاضِرَةِ السَّابِقَةِ، لَكِنَّهُ قَادِرٌ أَنْ يَظْهَرَ، كَمَا يَقُولُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ، فِي شِبْهِ مَلَائِكِ نُورٍ. فَهُوَ لَا يَهَاجِمُنَا بِأَنْيَابٍ وَوَجْهِ قَبِيحٍ، لَكِنَّهُ يَقْتَرِبُ مِنَّا مُتَنَكِّرًا فِي هَيْئَةٍ جَمِيلَةٍ تَبْدُو جَدَّابَةً. هَذَا جُزْءٌ مِنْ مُعْرِياتِ أَسَالِيهِهِ الْجَاذِبَةِ. وَأُظْهِرُ أَنَّهُ إِذَا ظَهَرَ الشَّيْطَانُ فِي شَكْلِ إِنْسَانٍ، لَنْ يَكُونَ شَخْصًا بَشِعًا، وَشَرِيرًا شَهِيرًا، مِثْلَ صَدَامِ حُسَيْنٍ أَوْ أَسَامَةَ بْنِ لَادِنٍ، لَكِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَى سَاحَةِ التَّارِيخِ فِي شِبْهِ بَيْلِي جَرَاهَامٍ. لَا أَقْصِدُ إِهَانَةَ بَيْلِي جَرَاهَامٍ، بَلْ فَقَطْ أَقُولُ إِنَّهُ سَيُحَاوِلُ أَنْ يَظْهَرَ فِي شَكْلِ إِنْسَانٍ مُوقَّرٍ، يَسْلُكُ بِشَيْءٍ مِنَ الْبِرِّ، لَكِنَّهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي رِيَاءٍ لِأَنَّهُ كَذَّابٌ.

هُوَ يُسَمَّى فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ "رَبِّيسَ مَمْلَكَةِ الظُّلْمَةِ"، وَ"رَبِّيسَ سُلْطَانِ الْهَوَاءِ"، وَ"رَبِّيسَ هَذَا الْعَالَمِ". فَهَذَا هُوَ مِيدَانُ عَمَلِهِ. وَالْوُظَيْفَتَانِ الرَّئِيسِيَّتَانِ اللَّتَانِ يُمَارِسُهُمَا فِي الْعَالَمِ هُمَا الْغَوَايَةُ وَالشَّكَايَةُ. مِنَ الْمُهْمِّ جَدًّا أَنْ نَفْهَمَ هَاتَيْنِ الْوُظَيْفَتَيْنِ لِلشَّيْطَانِ. أَكْثَرُ وُظَيْفَةٍ مَأْلُوفَةٍ لَدَيْنَا هِيَ وَظَيْفَتُهُ كَمَجْرَبٍ. فَسَبَقَ أَنْ رَأَيْنَا كَيْفَ، فِي الْجَنَّةِ، أَعْوَى آدَمَ وَحَوَاءَ وَجَرَّبَهُمَا بِارْتِكَابِ الْخَطِيئَةِ. وَنَعْلَمُ أَنَّهُ أَطْلَقَ الْعِنَانَ لِكُلِّ قُوَاهُ وَمَهَارَاتِهِ ضِدَّ بَسُوعَ فِي اخْتِبَارِهِ الشَّيْطَانِيَّ لِلتَّجْرِبَةِ فِي بَرِّيَّةِ الْيَهُودِيَّةِ. أَفْشَعُرُ حِينَ أَفَكَّرُ فِيمَا مَرَّ بِهِ رَبُّنَا فِي هَذِهِ التَّجْرِبَةِ الَّتِي دَامَتْ ٤٠ يَوْمًا.

كَمَا ذَكَرْتُ قَبْلًا، شَاسِعٌ هُوَ الْإِخْتِلَافُ بَيْنَ الْبَيْتَةِ الَّتِي تَعَرَّضَ فِيهَا يَسُوعُ لِقُوَّةِ الشَّيْطَانِ، مُقَارَنَةً بِبَيْتَةِ آدَمَ وَحَوَاءَ. فَقَدْ جَرَّبَ آدَمَ وَحَوَاءَ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ، فِي وَسْطِ بُسْتَانٍ فَاتِنٍ، كَانَ الثَّمَرُ وَالطَّعَامُ مُتَاحًا فِيهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ. لَكِنْ تَعَرَّضَ يَسُوعُ لِهَجُومِ الشَّيْطَانِ وَسَطَ بَرِّيَّةِ الْيَهُودِيَّةِ. وَإِذَا سَبَقَ أَنْ زُرْتُ فَلَسْطِينَ - أَيُّ زُرْتُ إِسْرَائِيلَ - وَمَرَرْتُ بِبَرِّيَّةِ الْيَهُودِيَّةِ،

سَتَجِدُ أَنَّهَا مِنْ أَكْثَرِ الْأَمَاكِنِ الْمُوحِشَةِ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ تَرَاهَا فِي حَيَاتِكَ. فَالْكَائِنَاتُ الْوَحِيدَةُ هُنَاكَ هِيَ بَعْضُ الطُّيُورِ، وَقَلِيلٌ مِنَ الْأَرَانِبِ، وَالْعَقَارِبِ، وَبَعْضُ الثَّعَالِبِينَ. فَهِيَ مَكَانٌ بَشِعٌ. وَمَعَ ذَلِكَ، أَمْضَى يَسُوعُ ٤٠ يَوْمًا فِي هَذَا الْمَكَانِ الْمُوحِشِ، وَتَعَرَّضَ لِلْهُجُومِ الْجَامِحِ مِنْ خَصْمِهِ، مِنَ الشَّيْطَانِ. وَقَعَ الْهُجُومُ عَلَى آدَمَ وَحَوَاءَ وَبَطْنُهُمَا مُمْتَلِئَةً، فِي حِينِ وَقَعَ الْهُجُومُ عَلَى يَسُوعَ بَعْدَ ٤٠ يَوْمًا مِنَ الصَّوْمِ، حِينَ شَعَرَ بِوَحْزِ الْجُوعِ الْبِيُولُوجِيِّ الطَّبِيعِيِّ. أَيْضًا، وَقَعَ الْهُجُومُ عَلَى آدَمَ وَحَوَاءَ وَهُمَا يَتَمَتَّعَانِ بِقُوَّةِ الشَّرِكَةِ الْمُتَبَادَلَةِ وَالصُّحْبَةِ الْبَشَرِيَّةِ. قَالَ سُورِينُ كِيرِكِيَجَارْدُ (Soren Kirkegaard): "لَا تُوَجَدُ حَالَةٌ يُمَكِّنُ لِإِنْسَانٍ أَنْ يَتَعَرَّضَ لَهَا فِي أَيِّ فِتْرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ أَكْثَرَ تَدْمِيرًا لَهُ مِنَ الْوَحْدَةِ". فَإِنْ أَرَدْنَا تَشْدِيدَ الْعُفُوبَةِ عَلَى الْمَسَاجِينِ وَرَاءَ الْقُضْبَانِ، نَضْعُهُمْ فِي حَبْسٍ انْفِرَادِيٍّ. وَهُوَذَا يَسُوعُ، وَحِيدًا تَمَامًا، طَوَالَ ٤٠ يَوْمًا، وَقَدْ أَتَتْ عَلَيْهِ التَّجْرِبَةُ.

فَكَّرُوا مَثَلًا فِي الْمَثَلِ الَّذِي ضَرَبَهُ يَسُوعُ عَنِ الْإِبْنِ الضَّالِّ، الَّذِي سَلَكَ بِطَرِيقَةٍ مُعَيَّنَةٍ وَهُوَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَمَعَ الْعَائِلَةِ. وَلَمْ يُظْهِرِ انْحِطَاظَهُ الشَّدِيدَ إِلَّا حِينَ ذَهَبَ إِلَى كُورَةٍ بَعِيدَةٍ، حَيْثُ كَانَ مَجْهُولَ الْهُويَّةِ، لَا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ، وَحَيْثُ لَمْ يَتَوَقَّعْ أَحَدٌ مِنْهُ مُسْتَوَى مُعَيَّنًا مِنَ السُّلُوكِ. إِذَنْ، كَانَ رَبَّنَا مَجْهُولَ الْهُويَّةِ فِي الْبَرِّيَّةِ، وَحَاوَلَ الشَّيْطَانُ اسْتِغْلَالَ ذَلِكَ. "فَقَطَّ أَسْجُدْ لِي، ارْكَعْ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَلَنْ يَعْرِفَ أَحَدٌ ذَلِكَ، وَلَنْ يَرَى أَحَدٌ ذَلِكَ. وَكُلُّ مَمَالِكِ الْعَالَمِ تَكُونُ لَكَ".

هَذَا مَوْطِنُ قُوَّتِهِ، أَنْ يَأْتِيَ إِلَى شَعْبِ اللَّهِ وَيُجَاوِلَ غَوَايَتَهُمْ بِارْتِكَابِ الْخَطِيئَةِ. إِنَّ الْخَطِيئَةَ فِي حَدِّ ذَاتِهَا جَدَابَةٌ جِدًّا لَنَا. لَكِنْ إِنْ كُنَّا نَعْرِفُ شَيْئًا عَنِ أُمُورِ اللَّهِ، فَسَتَعْلَمُ أَنَّ الْخَطِيئَةَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تُسْعِدَ أَحَدًا. وَمَعَ ذَلِكَ، نَحْنُ مُنْسَاقُونَ وَرَاءَ تَحْقِيقِ سَعَادَتِنَا. قَالَ جُونَاثَانُ إِدُورْدُزُ ذَاتَ مَرَّةٍ إِنَّ فِعْلَ الْإِرَادَةِ، أَوْ فِعْلَ الْإِخْتِيَارِ، هُوَ اخْتِيَارُ الذَّهْنِ لِمَا يَبْدُو جَيِّدًا لَنَا فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ، بِحَيْثُ حِينَ نَخْتَارُ فِعْلَ أُمُورٍ مُعَيَّنَةٍ، نَخْتَارُ أَنْ نَفْعَلَهَا لَا لِأَنَّنا نَظُنُّ أَنَّ بِهَا أَيَّ بَرٍّ أَخْلَاقِيٍّ، بَلْ لِأَنَّنا نَظُنُّ أَنَّهَا سَتَكُونُ جَيِّدَةً لَنَا. وَنَحْنُ نَخْلِطُ بَيْنَ السَّعَادَةِ وَاللَّذَّةِ. الْخَطِيئَةُ تَجْلِبُ اللَّذَّةَ لَكِنَّهَا لَا تُحَقِّقُ آيَةَ سَعَادَةٍ. لَمْ نَتَعَلَّمْ ذَلِكَ بَعْدُ، وَلَنْ نَتَعَلَّمَهُ إِلَّا حِينَ نَكْتَشِفُ أَنَّ سَعَادَتَنَا الْوَحِيدَةَ هِيَ فِي اللَّهِ وَفِي أُمُورِ اللَّهِ، حِينَ نَدْخُلُ الْحَالَةَ السَّمَاوِيَّةَ. وَحَتَّى يَحْدُثَ ذَلِكَ، نَحْنُ نَتَعَرَّضُ لِهَجَمَاتِ غَوَايَةِ مِنَ الشَّيْطَانِ، الَّذِي يَجْعَلُ الْخَطِيئَةَ تَبْدُو جَيِّدَةً لَنَا، وَيَعِدُّنَا بِاللَّذَّةِ.

نَرَى كَيْفَ حَاوَلَ الشَّيْطَانُ غَوَايَةَ يَسُوعَ. فَقَدْ نَجَّحَ مَعَ آدَمَ وَحَوَاءَ، وَلَا حَقَّ بَطْرُسَ، وَلَا حَقَّ كُلِّ شَعْبِ اللَّهِ عَبْرَ صَفَحَاتِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. نَفَرْنَا أَنَّ اللَّهَ لَا يُجَرِّبُ أَحَدًا الْبَتَّةَ. هُنَاكَ فَرْقٌ شَاسِعٌ بَيْنَ الشَّيْطَانِ وَاللَّهِ، وَمَعَ ذَلِكَ نَفَرْنَا كَثِيرًا فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ أَنَّ اللَّهَ سَيَمْتَحِنُنَا. فَهُوَ امْتَحَنَ إِبْرَاهِيمَ. وَالرُّوحُ الْقُدُسُ هُوَ الَّذِي اقْتَدَا يَسُوعَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ لِجُرْبِ مِنَ الشَّيْطَانِ. وَمَعَ ذَلِكَ يَقُولُ يَعْقُوبُ: "لَا يَقُلْ أَحَدٌ إِذَا جُرَّبَ إِيَّيَ أَجْرَبُ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ". مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ، الْمَقْصُودُ

هُوَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُغْوِينَا الْبَتَّةَ، أَوْ يُجَاوِلُ حَنَّنَا عَلَى ارْتِكَابِ الْخَطِيئَةِ، لَكِنَّهُ قَدْ يَمْتَحِنُنَا. وَهُنَا تَكْتَسِبُ قِصَّةُ أَيُّوبَ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ أَهَمِّيَّةً كَبِيرَةً جِدًّا. لِئَلْقَ نَظْرَةً عَلَيْهَا لِبَعْضِ الْوَقْتِ.

نَقْرَأُ فِي الْأَصْحَاحِ ١ مِنْ هَذَا السَّفَرِ هَذَا الْوَصْفَ لِأَيُّوبَ، فِي الْآيَةِ الْأُولَى: "كَانَ رَجُلٌ فِي أَرْضِ عَوَصَ اسْمُهُ أَيُّوبُ. وَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ كَامِلًا وَمُسْتَقِيمًا، يَتَّقِي اللَّهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ". يَا لَهُ مِنْ وَصْفٍ مُذْهِلٍ لِاسْتِقَامَةِ أَيُّوبَ، جَاءَ فِي هَذِهِ الْمُقَدِّمَةِ. "وُولِدَ لَهُ سَبْعَةُ بَنِينَ وَثَلَاثُ بَنَاتٍ. وَكَانَتْ مَوَاشِيهِ سَبْعَةَ آلَافٍ مِنَ الْعِغَمِ، وَثَلَاثَةَ آلَافٍ جَمَلٍ". رُبَّمَا جَعَلَهُ ذَلِكَ أَعْنَى رَجُلٍ فِي الْعَالَمِ. "وَكَانَ بَنُوهُ يَذْهَبُونَ وَيَعْمَلُونَ وَلِيمَةً فِي بَيْتِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي يَوْمِهِ، وَيُرْسَلُونَ وَيَسْتَدْعُونَ أَخَوَاتِهِمُ الثَّلَاثَ لِیَأْكُلْنَ وَيَشْرَبْنَ مَعَهُمْ". كَانَتْ هَذِهِ الْعَائِلَةُ رَائِعَةً. "وَكَانَ لَمَّا دَارَتْ أَيَّامُ الْوَلِيمَةِ، أَنَّ أَيُّوبَ أَرْسَلَ فَقَدَّسَهُمْ، وَبَكَرَ فِي الْعَدِ - لِمَاذَا؟ لِيُعْبَدَ اللَّهُ - وَأَضْعَدَ مُحْرَقَاتٍ عَلَى عَدَدِهِمْ كُلِّهِمْ، لِأَنَّ أَيُّوبَ قَالَ: "رُبَّمَا أَخْطَأَ بَيْتِي وَجَدَّفُوا عَلَى اللَّهِ فِي قُلُوبِهِمْ". هَكَذَا كَانَ أَيُّوبُ يَفْعَلُ كُلَّ الْأَيَّامِ". فَقَدْ كَانَ نَمُودَجًا لِلأَبِ الْفَاضِلِ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ.

ثُمَّ مَاذَا حَدَثَ؟ مَا الَّذِي تَسَبَّبَ فِي انْهِيَارِ عَالَمِ أَيُّوبَ؟ فِي الْآيَةِ ٦: "وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنَّهُ جَاءَ بَنُو اللَّهِ لِيَمِثُلُوا أَمَامَ الرَّبِّ، وَجَاءَ الشَّيْطَانُ أَيْضًا فِي وَسْطِهِمْ. فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: "مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟". فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ الرَّبَّ وَقَالَ: "مِنَ الْجَوْلَانِ فِي الْأَرْضِ، وَمِنَ التَّمَنِّي فِيهَا". فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: "هَلْ جَعَلْتَ قَلْبَكَ عَلَى عِبْدِي أَيُّوبَ؟ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الْأَرْضِ. رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ، يَتَّقِي اللَّهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ". فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ الرَّبَّ وَقَالَ: "هَلْ مَجَانًا" - أَوْ بِلا مُقَابِلٍ - يَتَّقِي أَيُّوبُ اللَّهَ؟ أَلَيْسَ أَنْتَ سَبَّجْتَ حَوْلَهُ وَحَوْلَ بَيْتِهِ وَحَوْلَ كُلِّ مَا لَهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ؟ بَارَكْتَ أَعْمَالَ يَدَيْهِ فَانْتَشَرَتْ مَوَاشِيهِ فِي الْأَرْضِ. وَلَكِنْ ابْسِطْ يَدَكَ الْآنَ وَمَسَّ كُلِّ مَا لَهُ، فَإِنَّهُ فِي وَجْهِكَ يُجَدِّفُ عَلَيْكَ".

هَذَا هُوَ التَّحَدِّي الَّذِي وَضَعَهُ الشَّيْطَانُ أَمَامَ اللَّهِ. فَقَدِ اتَّهَمَ أَيُّوبَ بِالرِّيَاءِ، وَقَالَ: "لَقَدْ تَمَشَّيْتُ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا وَالْكُلُّ هُنَاكَ فِي قَبْضَتِي. فَأَنَا رَيْسُ هَذَا الْعَالَمِ، وَالْكُلُّ يَتَّبِعُنِي". فَقَالَ اللَّهُ: "مَاذَا عَنْ أَيُّوبَ؟ هَلْ رَأَيْتَ عِبْدِي أَيُّوبَ الْمُسْتَقِيمَ وَالْكَامِلَ؟" "هَـ" - أَجَابَ الشَّيْطَانُ: "بِالطَّبْعِ، فَمَنْ يُمَكِّنُهُ أَنْ يَرِفَسَ النِّعْمَةَ؟ أَنْتَ سَبَّجْتَ حَوْلَهُ وَأَعْطَيْتَهُ مَالًا أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ شَخْصٍ آخَرَ فِي الْعَالَمِ. هَلْ مَجَانًا يَعْبُدُكَ أَيُّوبُ؟ بِالطَّبْعِ لَا. لَكِنْ أَتْرَكْنِي عَلَيْهِ، دَعْنِي أَهَاجِمُهُ، وَسَأُرِيكَ أَنَّ أَيُّوبَ يَتَّبَعُكَ لِمَصْلَحَتِهِ. وَحِينَ أَنْتَهِيَ مِنْهُ، سَيَجْدُفُ عَلَيْكَ فِي وَجْهِكَ". هَذَا هُوَ التَّحَدِّي، الَّذِي وَضَعَهُ أَيُّوبُ - وَضَعَهُ الشَّيْطَانُ أَمَامَ اللَّهِ.

فَقَالَ اللَّهُ: "حَسَنًا، هُوَ فِي يَدِكَ. سَأَرْفَعُ السِّيَاحَ، وَلَتَرَ مَا يَحْدُثُ". نَقْرَأُ بَعْدَ ذَلِكَ أْبَعَدَ قِصَّةٍ عَنِ التَّصَدِيقِ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، عَنْ بُؤْسِ بَشَرِيٍّ مُتَوَاصِلٍ أَنْزَلَهُ الشَّيْطَانُ عَلَى حَيَاةِ هَذَا الرَّجُلِ التَّقِيِّ، وَعَلَى عَائِلَتِهِ، وَعَلَى مُمْتَلِكَاتِهِ.

أَوَّلًا، يَجِبُ أَنْ نَتَعَلَّمَ مِنْ هَذَا شَيْئًا عَنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ. الشَّيْطَانُ قَادِرٌ أَنْ يُدْحِقَ بِحَيَاتِنَا ضَرًّا كَبِيرًا - آلامًا جَسَدِيَّةً، وَخَسَارَةً مُمْتَلَكَاتٍ، وَشَتَّى أَنْوَاعِ الْبُؤْسِ. لَكِنَّا نُنْفَى بِفَضْلِ الشَّيْطَانِ عَنِ اللَّهِ، وَتَحْمِيلِ الشَّيْطَانِ مَسْئُولِيَّةَ جَمِيعِ بَلَايَانَا وَمَصَائِبِنَا، كَمَا لَوْ أَنَّهُ يَمْلِكُ الْقُدْرَةَ مِنْ ذَاتِهِ عَلَى أَنْ يَعِثَ فَسَادًا بِحَيَاتِنَا. إِنَّمَا كُلُّ مَا يَفْعَلُهُ الشَّيْطَانُ خَاضِعٌ دَائِمًا لِسُلْطَانِ اللَّهِ السِّيَادِيِّ. لَا يَقْدِرُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُحَرِّكَ إِضْبَعًا دُونَ سَمَاحِ إِلَهِي.

كَانَ يَسُوعُ يُدْرِكُ ذَلِكَ. وَكَانَ يُدْرِكُ الْوَضْعَ الَّذِي كَانَ أَيُّوبُ فِيهِ. وَفَهَمَ الْوَضْعَ الَّذِي وَاجَهُهُ آدَمُ وَحَوَاءُ فِي الْجَنَّةِ. وَبِالطَّبَعِ، لَمْ يَنْسَ قَطُّ الظَّرْفَ الَّذِي قَاسَاهُ فِي عَزَلَةِ بَرِّيَّةِ الْيَهُودِيَّةِ، حَتَّى إِنَّهُ حِينَ عَلَّمَ تَلَامِيذَهُ أَنْ يُصَلُّوا قَالَ: "مَتَى صَلَّيْتُمْ فَقُولُوا: ... لَا تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ لَكِنِ نَجِّنَا مِنَ الشَّرِّ". أَوْدُ الْإِشَارَةَ إِلَى أَمْرَيْنِ بِشَأْنِ هَذَا الْجُزْءِ مِنَ الصَّلَاةِ الرَّبَّانِيَّةِ. أَوَّلًا، كُتِبَ هَذَا الْجُزْءُ بِصِيغَةٍ تُدْعَى التَّوَاوِي، حَيْثُ الشَّطْرُ الثَّانِي يَحْمِلُ مَعْنَى الشَّطْرِ الْأَوَّلِ نَفْسَهُ، مَعَ اخْتِلَافِ الْكَلِمَاتِ. وَالْأَمْرُ الثَّانِي هُوَ أَنِّي حَاوَلْتُ جَاهِدًا أَنْ أَفْهَمَ لِمَادَا ظَلَّتِ التَّرْجُمَاتُ الْإِنْجِلِيزِيَّةُ لِسَنَوَاتٍ وَقُرُونٍ تُتْرَجَّمُ تِلْكَ الْعِبَارَةُ إِلَى: "لَا تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ لَكِنِ نَجِّنَا مِنَ الشَّرِّ". فَحِينَ يُشَارُ إِلَى الشَّرِّ كَفِكْرَةٍ مُجَرَّدَةٍ، تَأْتِي الْكَلِمَةُ مُحَايِدَةً النَّوْعِ وَليْسَ فِي الْمُدْكَرِ. وَالْكَلِمَةُ الْيُونَانِيَّةُ الْمُسْتَحْدَمَةُ هُنَا فِي الصَّلَاةِ الرَّبَّانِيَّةِ هِيَ "بُونِيرُوس" (*poneros*)، وَتَرْجَمَتُهَا الْأَدْقُ هِيَ: "لَا تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ لَكِنِ نَجِّنَا مِنَ الشَّرِّ". "بُونِيرُوس" لَقَبٌ مِنَ الْقَابِ الشَّيْطَانِ.

مَا الَّذِي يَقْصِدُهُ يَسُوعُ؟ أَتَنَا يَجِبُ أَنْ نُصَلِّيَ لِأَجْلِ أَنْ يُسَبِّحَ اللَّهُ حَوْلَنَا، وَيُحَافِظَ عَلَيَّ هَذَا السِّيَاحِ، وَلَا يَثْرُكَنَا فِي وَضْعٍ يُمَكِّنُ أَنْ نَتَعَرَّضَ فِيهِ لِهُجُومِ الشَّيْطَانِ. يَجِبُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ صَلَاتِنَا، عَالِمِينَ أَنَّنَا عُرْضَةٌ طَوَالَ الْوَقْتِ لِلْعُدُوِّ. وَلِهَذَا نَقُولُ: "يَا رَبُّ، اِحْمِنَا، كُنْ حِصْنًا لَنَا، وَقَلْعَتَنَا الْحَصِينَةَ، اِحْمِنَا مِنْ هَجَمَاتِ الشَّيْطَانِ". هَذَا مَا أَوْصَانَا يَسُوعُ أَنْ نُصَلِّيَ بِهِ. لِأَنَّنا نَرَى مَا حَدَثَ لِأَيُّوبَ. فَقَدْ سَقَطَ السِّيَاحُ، وَأُطْلِقَ الْعِنَانُ لِكُلِّ الْحَجِيمِ فَعَلِيًّا عَلَى حَيَاتِهِ. وَكَانَ أَلْمُهُ شَدِيدًا لِدَرَجَةِ أَنْ أَصْدِقَاءَهُ الْأَقْرَبِينَ، الَّذِينَ افْتَرَضُوا قَبْلًا أَنَّهُ رَجُلٌ مُسْتَقِيمٌ، جَاءُوا إِلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ وَسَطَ كَوْمَةِ الرَّمَادِ، وَجَسَدُهُ مَلِيءٌ بِالتَّقْرَحَاتِ، وَقَالُوا: "يَا أَيُّوبُ، لَا بَدَّ مِنْ أَنَّكَ ارْتَكَبْتَ فِعْلًا شَنِيعًا لِتُصْبِحَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ. فَأَنْتَ أَشَقَى رَجُلٍ فِي الْعَالَمِ. لَا بَدَّ مِنْ أَنْ لَدَيْكَ أَسْوَأُ سَجَلٍ مِنَ الْخَطَايَا فِي الْعَالَمِ كَيْ يَحْدُثَ لَكَ ذَلِكَ". وَحَتَّى رَفِيقَتُهُ الْأَقْرَبُ إِلَيْهِ، زَوْجَتُهُ، لَمْ تَتَحَمَّلْ رُؤْيَةَ زَوْجِهَا يَتَأَلَّمُ، فَقَالَتْ: "اسْتَسَلِمِ يَا أَيُّوبُ. الْعَيْنُ اللَّهُ وَمُتْ. سَتَأْتِيكَ الرَّاحَةُ الْوَحِيدَةُ إِذَا لَعْنَتَ اللَّهُ". يُشْبِهُ هَذَا تَلَامِيذَ يَسُوعَ، أَصْدِقَاءَهُ الْمُقَرَّبِينَ. "لَا تَذْهَبِ إِلَى أُورُشَلِيمَ. لَا تُطِيعِ اللَّهَ، فَسَيُكَلِّفُكَ الْأَمْرَ الْكَثِيرَ". فَإِنَّ زَوْجَتَهُ، فِيمَا كَانَ أَيُّوبُ يَقُولُ: "هُوَذَا يَقْتُلْنِي. سَأُظَلُّ أَثْقَى بِهِ. وَسَأُظَلُّ أَعْبُدُهُ"، قَالَتْ: "كُفَّ عَن ذَلِكَ، لَا يُمَكِّنُكَ تَحْمُلُ الْمَزِيدِ، الْعُنَةُ وَمُتْ".

لَكِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ، وَهَزِمَ الشَّيْطَانُ. وَفِي ذَلِكَ تَمَجَّدَ اللَّهُ، وَتَزَكَّى أَيُّوبُ، إِذْ اسْتَعَادَ كُلُّ مَا خَسِرَهُ وَأَكْثَرَ. يَا لَهَا مِنْ قِصَّةٍ مُدْهِلَةٍ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ عَنِ قُوَّةِ الشَّيْطَانِ وَتَزَكِيَةِ الرَّبِّ لِشِعْبِهِ.

مَرَّةً أُخْرَى، اتَّبَعَ الشَّيْطَانُ أُسْلُوبَيْنِ لِلْقَضَاءِ عَلَى أَيُّوبَ: أَوَّلًا، حَاوَلَ أَنْ يُجَرِّبَهُ بِإِنْكَارِ اللَّهِ. وَتَكْمُنُ قُوَّةُ التَّجْرِبَةِ فِي الْأَلَمِ الَّذِي سَبَّبَتْهُ. لَيْسَ ذَلِكَ فَحَسْبُ، لَكِنَّهُ يَأْتِي لِلْمُؤْمِنِ بِأُسْلُوبِهِ الْمَفْضَلِ فِي الْعَمَلِ. فَهُنَاكَ لَقَبٌ آخَرٌ لِلشَّيْطَانِ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، وَهُوَ "دِيَابُولُوس" (*diabolus*)، وَمَعْنَاهُ "المُشْتَكِي". فَالشَّيْطَانُ يُعْتَبَرُ الْمُشْتَكِي عَلَى الإِخْوَةِ. وَالشَّكَايَةُ الَّتِي قَدَّمَهَا ضِدَّ أَيُّوبَ هِيَ أَنَّ السَّبَبَ الْوَحِيدَ الَّذِي لِأَجْلِهِ يَتَّقِي أَيُّوبُ اللَّهَ هُوَ الرَّخَاءُ الَّذِي وَفَّرَهُ لَهُ اللَّهُ. هَذَا غَيْرُ صَاحِحٍ. هَذَا اتِّهَامٌ بَاطِلٌ. وَشَكَايَةٌ بَاطِلَةٌ.

نَعْرِفُ جَمِيعًا الطَّرِيقَةَ الَّتِي يُجَرِّبُنَا بِهَا الشَّيْطَانُ، لَكِنَّ عَمَلَهُ الْأَخْطَرَ، بِالنِّسْبَةِ لِلْمُؤْمِنِ، هُوَ شَكَايَتُهُ عَلَى الْمُؤْمِنِ، أَيْ أَنْ يُلَوِّحَ بِإِصْبَعِ الاتِّهَامِ فِي وَجْهِكَ، وَيُبْعِدُ عَيْنَيْكَ عَنِ الصَّلِيبِ وَعَنِ الإِنْجِيلِ، مُشِيرًا إِلَى مَدَى فَسَادِكَ. وَالبَشْعُ فِي لَعِبِ الشَّيْطَانِ دَوْرَ جِهَةِ الإِدْعَاءِ هُوَ أَنَّهُ لَا يُضْطَرُّ لِإِخْتِلَاقِ تَهْمٍ كَازِبَةٍ، بَلْ بِإِمْكَانِهِ أَنْ يُشِيرَ إِلَى خَطَايَا حَقِيقِيَّةٍ، مُحَاوِلًا سَلْبَ فَرْحِنَا، وَنَزْعَ سَلَامِنَا، وَتَحْطِيمَ نَفْسِنَا فِي الإِنْجِيلِ.

مِنَ الْأُمُورِ الصَّعْبَةِ فِي الْحَيَاةِ الْمَسِيحِيَّةِ هُوَ التَّمْيِيزُ بَيْنَ عَمَلِ الرُّوحِ الْقُدُّوسِ الَّذِي يُبَكِّتُنَا عَلَى خَطِيئَتِنَا، وَعَمَلِ الشَّيْطَانِ الَّذِي يَشْتَكِي عَلَيْنَا بِالْخَطِيئَةِ، لِأَنَّ كِلَيْهِمَا قَدْ يُشِيرُ إِلَى الْخَطِيئَةِ نَفْسِهَا. لَكِنِّي لَأَحْظُتُ هَذَا الْفَرْقَ. حِينَ يُبَكِّتُنَا الرُّوحُ الْقُدُّوسُ عَلَى الْخَطِيئَةِ، بِقَدْرِ مَا يَكُونُ الْأَمْرُ مُؤَلِّمًا لِبَعْضِ الْوَقْتِ، إِنَّمَا هُنَاكَ دَائِمًا حَلَاوَةٌ فِيهِ، لِأَنَّهُ فِي التَّبَكُّيْتِ يَعِدُنَا الرُّوحُ الْقُدُّوسُ دَائِمًا بِالْعُفْرَانِ وَالِاسْتِرْدَادِ. أَمَّا الشَّيْطَانُ، فَحِينَ يَشْتَكِي عَلَيْنَا، يَكُونُ الْعَرَضُ وَالْمَهْدَفُ مِنْ شَكَايَتِهِ هُوَ تَدْمِيرُنَا وَشَلُّ حَرَكَتِنَا، وَدَفْعُنَا إِلَى التَّخَلِّيِّ عَنِ كُلِّ رَجَاءٍ. لَدَا حِينَ تَكَلَّمَ بُولُسُ عَنِ الإِخْتِيَارِ، وَحِينَ تَكَلَّمَ بُولُسُ عَنِ نِعْمَةِ اللَّهِ الْفَائِضَةِ وَالرَّائِعَةِ، تَحَدَّى الشَّيْطَانُ فِي جُرْأَةٍ: "مَنْ سَيَشْتَكِي عَلَيَّ مُخْتَارِي اللَّهِ؟ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يُبَرِّرُ". لَدَا، حِينَ يَأْتِي الشَّيْطَانُ بِشَكَايَاتِهِ، يَجِبُ أَنْ نَقُولَ: "لَنْ يُؤَدِّبَنِي هَذَا أَيُّهَا الشَّيْطَانُ. أَغْرَبُ عَنِّي. نَعْلَمُ أَنَّنَا مُذْئَبُونَ، لَكِن لَدَيْنَا الْمَسِيحُ، وَلَدَيْنَا الإِنْجِيلُ، وَهَذَا دِرْعُنَا ضِدَّ شَكَايَاتِكَ". لِهَذَا يُعْجِبُنِي فِي دَلِيلِ إِيمَانِ هَايْدِلِبِرْجِ التَّصْرِيحُ الْقَائِلُ إِنَّ الْمَسِيحَ هُوَ رَجَاؤُنَا الْوَحِيدُ فِي الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ. فَلِهَذَا يَجِبُ أَنْ أَتَعَلَّقَ بِهِ، وَأَتَعَلَّقَ بِالإِنْجِيلِ، لِأَنَّ الشَّيْطَانَ سَيَشْتَكِي عَلَيْنَا كُلَّ لَحْظَةٍ.

أَخِيرًا، نَقْرَأُ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ أَنَّ الشَّيْطَانَ لَدَيْهِ جَيْشٌ كَامِلٌ مِنَ الْأَعْوَانِ - "دِيمُونِيُون" (*daimonion*) - أَيْ الشَّيَاطِينِ. وَنَرَى أَنَّ عَمَلَهُمْ كَانَ مُكْتَفًا بِشِدَّةٍ خِلَالَ وُجُودِ يَسُوعَ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ. وَفِي الْوَاقِعِ، كَانَتْ أُولَى الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَعَرَّفَتْ عَلَى هُوِيَّةِ يَسُوعَ الْكَامِلَةَ هُمُ الشَّيَاطِينِ. فَقَدْ دَعَا "قُدُوسَ إِسْرَائِيلَ"، وَ"ابْنَ اللَّهِ". "أَحِجَّتْ إِلَى هُنَا قَبْلَ الْوَقْتِ لِشُعْدَبَتِنَا؟" فَقَدْ فَهَمُوا وَعَلِمُوا أَنَّ أَيَّامَهُمْ مَعْدُودَةٌ. وَعَلِمُوا أَنَّهُ سَيَأْتِي يَوْمٌ يَنْتَهِي فِيهِ أَمْرُهُمْ. لَكِنَّهُمْ عَلِمُوا أَيْضًا أَنَّ الْوَقْتِ لَمْ يَحْنِ بَعْدُ. وَحَاوَلُوا التَّفَاوُضَ مَعَ يَسُوعَ. لَكِنَّ يَسُوعَ طَرَدَهُمْ مِنْ سَكْنَاهُمْ دَاخِلَ الرَّجُلِ الَّذِي كَانُوا

يُعَدُّبُونَهُ، وَأَدْخَلَهُمْ فِي الْخُتَازِيرِ، وَأَرْسَلَهُمْ إِلَى الْهَلَاكِ. يَقُولُ الْبَعْضُ: "وَلِمَ لَمْ يُرْسَلْهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ؟" لِأَنَّ الْوَقْتَ لَمْ يَكُنْ قَدْ حَانَ بَعْدَ. لَكِنَّهُ تَوَلَّى أَمْرَهُمْ. وَهَؤُلَاءِ الشَّيَاطِينُ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

وَفِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، نَرَاهُمْ يَسْكُنُونَ فِي النَّاسِ، وَيَسْتَعْبِدُونَهُمْ، مُسَبِّبِينَ أَدَى جَسَدِيًّا، وَأَضْرَارًا فِي الْمُمْتَلِكَاتِ، وَشَقَى الْأُمُورِ الْوَحْشِيَّةِ. وَالْمُؤْمِنُ يَسْأَلُ دَائِمًا: "هَلْ يُمَكِّنُ أَنْ يَسْكُنَنِي شَيْطَانٌ؟" لَا أَعْتَقِدُ ذَلِكَ. أَعْتَقِدُ أَنَّهُ يُمَكِّنُ لِلشَّيَاطِينِ أَنْ يَسْكُنُوا بَشَرًا، لَكِنِّي لَا أَعْتَقِدُ أَنَّهُ بِإِمْكَانِهِمْ أَنْ يَسْكُنُوا الْمُؤْمِنَ - أَقْصِدُ الْمُؤْمِنَ الْحَقِيقِيَّ، وَالْمَوْلُودَ ثَانِيَةً، لِأَنَّهُ فِي هَذَا الْمَوْلُودِ ثَانِيَةً يَسْكُنُ اللَّهُ الرُّوحَ الْقُدُسَ. وَيَقُولُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ: "حَيْثُ رُوحَ الرَّبِّ هُنَاكَ حُرِّيَّةٌ. فَلَا يُمَكِّنُ لِشَيْطَانٍ أَنْ يَسْتَعْبِدَنَا لِقُوَّةِ إِبْلِيسَ. فَقَدْ يَضْطَهُدُونَنَا، وَقَدْ يُضَايِقُونَنَا، وَقَدْ يُجَرِّبُونَنَا وَيُهَاجِمُونَنَا، وَيَفْعَلُونَ كُلَّ تِلْكَ الْأُمُورِ، لَكِنِ شُكْرًا لِلَّهِ، لِأَنَّ الَّذِي فِيْنَا أَعْظَمُ مِنَ الَّذِي فِي الْعَالَمِ.

الدُّكْتُورُ أَرْ. سِي. سَبْرُولُ هُوَ مُؤَسَّسُ هَيْئَةِ خِدْمَاتِ لِيْجُونِيرِ، وَكَانَ أَحَدَ رِعَاةِ كَنِيسَةِ الْقُدَيْسِ أَنْدُرُو ( St. Andrews Chapel ) فِي مَدِينَةِ سَانْفُورْدِ بُولَايَةِ فُلُورِيدَا، كَمَا كَانَ أَوَّلَ رَيْسِ لِكَلِّيَّةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِلْإِصْلَاحِ ( Reformation Bible College ). وَهُوَ مُؤَلَّفُ أَكْثَرِ مِنْ مِائَةِ كِتَابٍ، بِمَا فِي ذَلِكَ "كُنَّا لَاهُوتِيُونَ" و"أَدَهْسَنِي الْأَلَمَ".